التنمية الاقتصاديّة المستدامة في الإسلام
شموليّة وتوازن

فوزية برسولي

قسم الاقتصاد، معهد الحقوق والاقتصاد، المركز الجامعي بريكة، باتنة.

التنمية المستدامة إحدى الغايات التي تسعى دول العالم قاطبة إلى الوصول إليها، واتخاذ كل التدابير اللازمة لتحقيقها، باعتبار أنها الوسيلة المثلى لتحقيق التقدم الحضاري المنشود بشتى صوره (اقتصادياً، واجتماعياً، وبشرياً)، مع المحافظة في الوقت نفسه على الموارد والثروات الطبيعية من الاستنزاف والتلوث، بحيث يظل كوكب الأرض قادرا على الوفاء بمعطيات التنمية وضمان ديمومتها للأجيال القادمة، انطلاقا من كون هذه الموارد ليست حكراً على جيل بعينه، بل هي ملكية عامة للبشر جميعا في كل زمان ومكان. كما أن التنمية المستدامة تمثل في الوقت نفسه إحدى القيم الحضاريّة المرتبطة بأخلاقيات التعامل مع البيئة، والتعامل الرشيد مع عناصرها ونظمها ومواردها.

والإسلام كنظام حياة، يعد أكمل وأشمل وأروع من أي نظام وضعي، ولا يقبل المقابلة ناهيك عن إستحالة المقارنة مع أي من الأنظمة التي عرفتها البشرية، ولا شك في ذلك لأنه من وضع الخالق تبارك وتعالى، فهو يحمل في طياته نظاما إنمائي التوجه، علمي النظرة، عالمي المحتوى، منفتح الفكر،ديناميكي الحركة، كفء الأداء.

فالإسلام لم يقدم دينا فقط وإنما وضع نظاما واقعياً شاملاً، يضبط حركة الحياة بجميع جوانبها (الاقتصاديّة، الاجتماعيّة، الأخلاقيّة. . .) على أساس متين وواضح من الكتاب والسنة.

وعمليّة التنمية في الفكر الاقتصادي الإسلامي، تحمل في طيّاتها شموليّة لجميع جوانب الحياة وتوازنا بين المادة والروح ولكي تتحقق على أرض الواقع لابدّ أن تبدأ من الأصل أو من القاعدة، أي من الإنسان وتنتهي في كل مرحلة من مراحلها بالإنسان أي من أجل الإنسان في اليوم والغد بشكل مستدام.

وفي ضوء ما سبق تحاول هذه الورقة البحثيّة التركيز على مفهوم للتنمية المستدامة في الإسلام، والتركيز على التنمية الاقتصاديّة المستدامة من منظور إسلامي، وتناول مختلف مرتكزاتها الأساسيّة، وذلك عبر التطرق إلى المحاور التالية: التنمية المستدامة في الإسلام، التنمية الاقتصاديّة في الإسلام واستدامتها،مرتكزات وخصائص التنمية الاقتصاديّة المستدامة في الإسلام.

أولاً التنمية المستدامة في الإسلام

أصبح مفهوم التنمية المستدامة واسع التداول وواسع الاستعمال وأصبح يقرن بأي نمط تنموي فهناك التنمية الزراعيّة المستدامة، والتنمية الصناعيّة المستدامة، والتنمية السياحيّة المستدامة...إلخ. والإسلام كنظام حياة يتضمن نمطا تنمويا مستدام أشمل من المفهوم الوضعي المتداول، لكن قبل التعرف على مفهوم التنمية المستدامة من منظور إسلامي، لابدّ من التطرق إليه كما جاء في الأنظمة الوضعيّة للتمكن من معرفة الفارق.

مفهوم التنمية المستدامة:

حاول تقرير الموارد العالميّة الذي نشر عام ١٩٩٢م والذي خصّص بكامله لموضوع التنمية المستدامة حصر عشرين تعريفاً واسع التداول، وزعها على ثلاث مجموعات هي التعريفات الاقتصاديّة، والتعريفات البيئيّة، والتعريفات الاجتماعيّة والإنسانيّة، كما يلي[1]:

- اقتصادياً: بالنسبة للدول الصناعيّة في الشمال فإن التنمية المستدامة تعني إجراء خفض عميق ومتواصل في استهلاك هذه الدول من الطاقة والموارد الطبيعيّة، وإجراء تحولات جذريّة في الأنماط الحياتيّة السائدة، واقتناعها بتصدير نموذجها التنموي الصناعي عالميا، أمّا بالنسبة للدول الفقيرة فالتنمية المستدامة تعني توظيف الموارد من أجل رفع مستوى المعيشة للسكان الأكثر فقرا في الجنوب.
- أمّا على الصعيد الإنساني والاجتماعي: فإن التنمية المستدامة تسعى إلى الاستقرار في النمو السكاني، ووقف تدفق الأفراد على المدن، وذلك من خلال تطوير مستوى الخدمات الصحية والتعليمية في الأرياف، وتحقيق أكبر قدر من المشاركة الشعبية في التخطيط للتنمية.
- أمّا على الصعيد البيئي: فإن التنمية المستدامة هي الاستخدام الأمثل للأراضي الزراعية، والموارد المائيّة في العالم، مما يؤدى إلى مضاعفة المساحات الخضراء على سطح الكرة الأرضية.

تعريف التنمية المستدامة:

تعرضت الكثير من المنظمات العالميّة والكتاب والباحثين بشتى الاختصاصات إلى تعريف التنمية المستدامة لما لها من أهمية واتساع. ومن بين هذه التعاريف: "أنها التنمية التي تهيأ للجيل الحاضر متطلباته الأساسية والمشروعة،

[1] G. Ferone, D. Debas, A.S. Genin, Ce que développement durable veut dire, éditions d'organisation, 2005, p8.

دون أن تخل بقدرة المحيط الطبيعي على أن يهيئ للأجيال التالية متطلباتهم، أو بعبارة أخرى، استجابة التنمية لحاجات الحاضر، دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء بحاجاتها"[1].

وهناك من يعرفها بأنها: "تلك التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجاتهم"[2]، فهي "مجموعة من السياسات والأنشطة الموجهة نحو المستقبل"[3].

كما تعرف التنمية المستدامة بأنها "توسيع خيارات الناس وقدراتهم من خلال تكوين الرأسمال الاجتماعي لتلبية حاجات الأجيال الحالية بأحسن طريقة ممكنة دون الإضرار بحاجيات الأجيال القادمة"[4].

ممّا سبق يمكن اعتبار التنمية المستدامة قضية أخلاقيّة وإنسانيّة بقدر ما هي قضية تنموية بيئية، يمثل الإنسان حجر الزاوية فيها، وهي التنمية المتوازنة التي تفي بالاحتياجات الحالية دون المساس باحتياجات الأجيال القادمة، وتعمل هذه التنمية أساسا على أن تكون العلاقة بين الإنسان والطبيعة أو الكون متناسقة ومتناغمة في ظل المسؤولية الشخصيّة والأمانة لضمان مستقبل الأجيال من خلال المحافظة على الموارد.

العناصر الأساسيّة للتنمية المستدامة:

تقوم التنمية المستدامة على ثلاثة عناصر أساسية هي[5]:

الاقتصاد والمجتمع والبيئة، ومن الملاحظ أن هذه العناصر يرتبط بعضها ببعض، وتتداخل فيما بينها تداخلا كبيراً. فالاقتصاد أحد المحركات الرئيسية للمجتمع، وأحد العوامل الرئيسية المحددة لماهيته (مجتمع صناعي أو زراعي أو رعوي، إلخ). والمجتمع هو صانع الاقتصاد، والمُشكِّل الأساسي للأنماط الاقتصادية التي تسود فيه، اعتمادا على نوع الفكر الاقتصادي الذي يتبناه المجتمع (الرأسمالي، الاشتراكي، الإسلامي). والبيئة هي الإطار العام الذي يتأثر بالأنشطة الاقتصاديّة ويؤثر فيها. كما تتأثر البيئة بسلوكيات أفراد المجتمع وتؤثر في أحوالهم الصحية وأنشطتهم المختلفة.

لذلك فإن أي برنامج ناجح للتنمية المستدامة لا بد له أن يحقق التوافق والانسجام بين هذه العناصر الثلاثة، وأن يصهرها كلها في بوتقة واحدة تستهدف الارتقاء بمستويات تلك العناصر معا: أي تحقيق النمو الاقتصادي،

---

[1] عثمان محمد غنيم، ماجدة أحمد أبو زنط، التنمية المستدامة: فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص 28.

[2] O. Gélinier, O. Simon, ET autres, Développement durable: pour une entreprise compétitive et responsable, 3ème éd, édition ESF, Paris, 2005, p19.

[3] مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية على الموقع: www.adhwaa.com

[4] B. Burgenmeier, Economie de développement durable, 2ème éd, Bruxelles, 2005, p38.

[5] www.nabialrahma.com

وتلبية متطلبات أفراد المجتمع، وضمان السلامة البيئيّة، مع المحافظة في الوقت نفسه على حقوق الأجيال القادمة من الموارد الطبيعية وعلى التمتع ببيئة نظيفة.

مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام:

بالرغم من حداثة مصطلح (التنمية المستدامة) فإن مفهومه ليس بجديد على الإسلام والمسلمين. فقد حفل القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهرة بالعديد من النصوص التي تمثل الركائز الأساسية للتنمية المستدامة، وتضع الضوابط التي تحكم علاقة الإنسان بالبيئة وبمواردها الاقتصاديّة من أجل ضمان استغلالها بشكل جيد واستمراريتها صالحة للحياة إلى أن يأتي أمر الله. ومن الجدير بالذكر أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام أكثر شمولاً، بل إنه أكثر إلزاما من المفهوم المناظر الذي تم تبنيه في أجندة القرن الحادي والعشرين المنبثقة عن قمة (ريو دي جانيرو، عام ١٩٩٢). فالنظرة الإسلاميّة الشاملة للتنمية المستدامة توجب ألا تتم هذه التنمية بمعزل عن الضوابط الدينية والأخلاقية، لأن هذه الضوابط هي التي تحول دون أية تجاوزات تفقد التنمية المستدامة مبررات استمراريتها. وفي الوقت نفسه فإن النظرة الإسلاميّة الشاملة للتنمية المستدامة تعنى بالنواحي المادية، جنبا إلى جنب مع النواحي الروحية والخُلقية.

وهكذا، فإن مهمة التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي هي[1]:

- توفير متطلبات البشريّة حاليا ومستقبلا، سواء أكانت ماديّة أو روحيّة، بما في ذلك حق الإنسان في كل زمان ومكان في أن يكون له نصيب من التنمية الخُلقية والثقافيّة والاجتماعيّة. وهذا بعد مهم تختلف فيه التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي عن التنمية المستدامة في النظم والأفكار الأخرى، لأنه يعتمد على مبدأ التوازن والاعتدال في تحقيق متطلبات الجنس البشري بشكل يتفق مع طبيعة الخلقة الإلهيّة لهذا الكائن.
- والتنمية المستدامة في المنظور الإسلامي لا تجعل الإنسان ندا للطبيعة، ولا متسلطا عليها، بل تجعله أميناً بها، محسنا لها، رفيقاً بها وبعناصرها، يأخذ منها بقدر حاجته وحاجة من يعولهم، بدون إسراف، وبلا إفراط ولا تفريط.
- والتنمية المستدامة من هذا المنظور توجب على الأغنياء مساعدة الفقراء، فالمال مال الله، وهم مستخلفون فيه، قال تعالى: (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ)[2]، وقال: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ

[1] دراسة عن التنمية المستدامة من منظور القيم الإسلامية وخصوصيات العالم الإسلامي، منظمة الإيسيسكو،ص 20.
على الموقع http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/Tanmoust/P4.htm
[2] سورة النور، الآية رقم 33.

فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)[1]؛ ولأن الأغنياء إن لم يفعلوا قد يضطرون الفقراء إلى الضغط على الموارد الطبيعيّة واستنزافها من أجل الحصول على قوتهم وقوت أولادهم. فما تقوم به الدول الفقيرة من قطع جائر لغاباتها، وإقامة للصناعات الملوثة للبيئة على أراضيها يُعَدّ مثالا لما يمكن أن يفعله الفقر من دمار بيئي.

تعريف التنمية المستدامة من وجهة نظر إسلاميّة:

يمكن إعطاء التنمية المستدامة من وجهة نظر إسلاميّة التعريف التالي: "التنمية المستدامة هي عملية متعددة الأبعاد، تعمل على التوازن بين أبعاد التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة من جهة، والبعد البيئي من جهة أخرى، وتهدف إلى الاستغلال الأمثل للموارد والأنشطة البشريّة القائمة عليها من منظور إسلامي يؤكد أن الإنسان مستخلف في الأرض له حق الانتفاع بمواردها دون حق ملكيتها، ويلتزم في تنميتها بأحكام القرآن والسنة النبوية الشريفة، على أن يراعي في عملية التنمية الاستجابة لحاجات الحاضر، دون إهدار حق الأجيال اللاحقة، ووصولاً إلى الارتفاع بالجوانب الكمية والنوعية للبشرية"[2].

وهذا التعريف يتضمن ثلاثة عناصر أساسيّة:

- عملية متعددة الأبعاد تقوم على التخطيط والتنسيق بين خطط التنمية الشاملة من جهة وبعدها البيئي من جهة أخرى.
- الاستغلال الأمثل للموارد من منظور إسلامي.
- توفير حق الأجيال الحاضرة واللاحقة من الموارد والارتقاء بالجوانب الكمية والنوعية للمادة والبشر.

ركائز التنمية المستدامة في الإسلام:

يمكن تقسيم ركائز التنمية المستدامة في الإسلام إلى ثلاث ركائز أساسيّة، كما يلي[3]:

- الركيزة الأولى عمارة الأرض: ذكر من قبل أن الاقتصاد يُعَدّ أحد العناصر الرئيسية للتنمية المستدامة. ولكن هنا يؤثر استعمال المصطلح الإسلامي (عمارة الأرض) لأن دلالات عمارة الأرض في الإسلام تتمثل في كل الوسائل التي يمكن من خلالها إحداث مختلف أنواع التنمية، سواء أكانت اقتصادية (صناعية/ زراعية..)

---

[1] سورة الحديد، الآية رقم 7.

[2] http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/Tanmoust/P5.htm ;Op Cit,p28.

[3] محمد عبد القادر الفقي، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول القيم الحضارية في السنة النبوية، ص ص 8-21.

أم حضريّة أم اجتماعيّة أم صحيّة أم روحيّة . . .إلخ. كما أن عمارة الأرض تمثل الهدف الرئيسي للتنمية المستدامة، فضلا عن كونها غاية دينية ومقصدا شرعيا. فالله خلق الإنسان لكي يضطلع بثلاث مهام رئيسيّة، هي: عبادة الله لقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[1]، وخلافته في الأرض لقوله عز وجل: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[2]، وعمارتها استنادا إلى قول الحق تبارك وتعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)[3]. ومن الناحية اللغوية فإن معنى (اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) هو: فوّض إليكم أن تعمروها[4].

ومن الملاحظ أن ثمة ارتباطا وثيقا بين هذه المهام الثلاث، وتداخلا أيضا. فعبادة الله هي من الخلافة في الأرض ومن عمارتها. والخلافة هي من عبادة الله، ومن عمارة الأرض كذلك.

ويحفل الإسلام بالعديد من الآيات والأحاديث الشريفة التي تحث على عمارة الأرض، كما يلي[5]:

ففي الحث على الغرس والتشجير والزرع: روى البخاري عن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها"[6]. هذا الحديث يدل على الطبيعة المنتجة والخيرة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم. والعمل هنا يجب أن يؤدى لذات العمل، لأنه ضروري للقيام بحق خلافة لله في الأرض.

وقد رغبت السنة النبوية في الغرس والتشجير وفلاحة الأرض، وجعلت ثواب ذلك أجرا عظيما، فعن أنس (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما مِنْ مُسلمٍ يَغرِسُ غَرْساً، أو يَزْرَعُ زَرْعاً فيأكُلُ منه

---

[1] سورة الذاريات، الآية رقم 56.
[2] سورة البقرة، الآية رقم 30.
[3] سورة هود، الآية رقم 61.
[4] معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، ص 388.
[5] منظمة الإيسيسكو،مرجع سابق،ص ص 35-46.
[6] رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في مسنده، والبزار. ورواية أحمد: "إنْ قامَتْ على أَحَدِكُمُ القِيَامَةُ وفي يَدِهِ فَسْلَةٌ فَلْيَغْرِسْها". انظر: الأدب المفرد، الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (باب اصطناع المال، الحديث رقم 479)، الجزء الأول، ص 242.

طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلاَّ كان لهُ بهِ صَدَقة)[1] . وعن خلاد بن السائب عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من زرع زرعاً فأكل منه الطير أو العافية كان له به صدقة)[2] .

ومن الملاحظ أن هذه الأحاديث تحث المسلم على أن يدع أحياء البيئة (من طير وحشرات وغيرها) تأكل من زرعه غير آسف على ذلك . فالله هو الرزاق، وهو يرزق كل ما خلق، وليس على الإنسان أن يمنع مخلوقات الله من أن تحصل على طعامها مما أنبته الله، وعليه أن يطمئن إلى عِظَم الجزاء الذي سيكون له عند مولاه نظير ما أخذته هذه المخلوقات من ثماره وحبوبه وزروعه .

ولما كان حفر الأنهار والقنوات من مستلزمات الزراعة حث الإسلام على ذلك، وجعل شق الأنهار من الأعمال التي يلحق ثوابها المؤمن بعد موته . فعَن أبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُول اللّهّ صَلى اللّهّ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: (أَن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بَعْد موته: علما علمه ونشره، وولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله فِي صحته وحياته، تلحقه من بَعْد موته)[3] .

وإذا عجز المرء عن زراعة أرضه لأي سبب كان (لعذر جسماني أو مادي مثلا) فإن عليه ألا يترك الأرض لتبور، بل عليه أن يعطيها للقادر على زراعتها . فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه)[4] .

---

[1] رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مراجعة وضبط: الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، كتاب الحرث والمزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، الحديث رقم 2320، ص 397. وانظر: صحيح مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، مكتبة الإيمان، المنصورة بمصر، كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، الحديث رقم 89- (1543)، الجزء الخامس، ص 364.

[2] مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، حديث السائب بن خلاد أبي سهلة رضي الله تعالى عنه، الحديث رقم 16607، الجزء الرابع، ص 55.

[3] رواه ابن ماجه. وفي سند الحديث مرزوق بن الهذيل. ومرزوق مختلف فِيه. ونُقِل عَن ابْن المنذر اَنَّهُ قَالَ: إِسْنَادُهُ حسن. وفِي الْزَوَائِدِ: إِسْنَادُهُ غريب. انظر: سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، كتاب اتباع السنة، بَاب: ثواب معلم الناس الخير، الحديث رقم 3605، الجزء الأول، ص 88.

[4] رواه الشيخان. انظر: صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: ما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة، الحديث رقم: 2342، ص 401. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البيوع، باب: كراء الأرض، الحديث رقم 12- (1553)، الجزء الخامس، ص 379.

في مجال إحياء الأرض الموات[1] حث الإسلام على إصلاح تلك الأرض وزراعتها وجلب الماء إليها. فعن عائشة (رضي الله عنها) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق)[2]، أي أحق بها[3]. وقال عمر (رضي الله عنه): (من أحيا أرضا ميتة فهي له)[4].

ولا يخفي أثر إحياء الأرض في زيادة الإنتاج الزراعي والحيواني، فضلا عن دوره في المحافظة على التربة ومنع تفكّكها وتعرضها للتصحر.

الركيزة الثانية: الاهتمام بالإنسان: لّما كان الإنسان هو أساس برامج التنمية المستدامة، وهو غايتها، والقائم بها، لذلك أولى القرآن الكريم والسنة النبوية قيمة الإنسان واهتما به وبتنمية قدراته، باعتباره أهم عنصر من عناصر البيئة، بل إن البيئة نفسها مسخرة لخدمته، وهو خليفة الله في الأرض دون غيره من سائر المخلوقات.

ففي مجال المحافظة على النفس: شدد الإسلام على حرمة الدماء حتى لغير المسلمين. وقد نهى عن قتل نفس الآخر إلا بالحق، كما نهى أيضا عن قتل الإنسان لنفسه ذلك بأن النفس ملك لله عز وجل، فهو المالك الحقيقي لها وجودا وعدما وتصرفا، وليس الإنسان إلا حارسا وأمينا عليها، وهذه الأمانة تقتضي منه وجوب حفظها، ومن ذلك تناول الأكل والشرب لما فيه من قوامها.

في مجال توفير الأمن الغذائي والكسائي، حث الإسلام على إطعام الجائع، وجعل ذلك ركنا من أركان الإيمان. فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم به" (٥). فالإنسان الذي به عوز إلى الطعام والشراب والكساء لا يستطيع أن ينتج، وينعكس عجزه هذا على البيئة الطبيعية فتتدهور. وخير مثال على ذلك ما نراه في المجتمعات الفقيرة اليوم في إفريقيا. فالفقر يقف حجر عثرة أمام استغلال ثروات البيئة في هذه المجتمعات، في حين أن الدول الغنية تنتج ما يفيض عنها فتلجأ إلى إغراق فائض الحبوب في البحر، حفاظا على الأسعار.

---

[1] الموات: هي الأرض التي لم تعمر، شبهت العمارة بالحياة وتعطيلها بفقد الحياة. وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض لا يعلم تقدم مالك عليها لأحد فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء، فتصير بذلك ملكه، سواء أكانت فيما قرب من العمران أم بعد، سواء أذن له الإمام في ذلك أم لم يأذن، وهذا قول الجمهور". انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء الخامس، ص 23.

[2] صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، الحديث رقم: 2336، ص 400.

[3] قال ابن حجر: "قوله: (من أعمر) بفتح الهمزة والميم من الرباعي، قال عياض كذا وقع، والصواب: (عمر) ثلاثيا. قال تعالى: (وعمروها أكثر مما عمروها)، إلا أن يريد أنه جعل فيها عمارا، قال ابن بطال: ويمكن أن يكون أصله من اعتمر أرضا أي اتخذها، وسقطت التاء من الأصل، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء الخامس، ص 23.

[4] رواه البخاري في عنوان باب: من أحيا أرضا مواتا، ولم يذكر سند الحديث، وإنما قال: "ويروى عن عمر وابن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم. ويروى فيه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم". انظر: صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، ص 400.

في مجال تحقيق الأمن النفسي نجد أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحرِّم ترويع المسلم، حتى لو كان ذلك مقصده المزح، ويندرج تحت حماية الإنسان وعدم ترويعه أن يشير امرؤ إلى آخر بالسلاح. فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار"[1].

وفي مجال المحافظة على سلامة عقل الإنسان، نهى الإسلام المسلم عن كل ما يذهب بالعقل أو يتسبب في تغييب الوعي وفتور البدن، بما في ذلك الخمور بمسمياتها المختلفة والمخدرات بأنواعها المتعددة. عن أم سلمة – رضي الله عنها – (أن رسول الله نهى عن كل مسكر ومفتِّر)[2]. ومن المعروف أن الإنسان المدمن لا يمكنه أن يشارك في الإنتاج وبرامج التنمية بالشكل المناسب.

في مجال الحث على طلب العلم والأخذ به، اهتم الإسلام بالعلم. فدور العلم والتعلم لا يخفى في تنفيذ برامج التنمية المستدامة. فمن دون العلم لا يكون هناك بحث أو تطوير أو إدراك لأسس أداء العمل بشكل صحيح وبدون حدوث مشكلات تؤثر في مستوى السلامة الصناعية والصحة المهنية والبيئة. ونكتفي هنا بحديث نبوي في الدعوة إلى طلب العلم والتماس أي طريق له. فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[3].

الركيزة الثالثة: حماية الموارد الطبيعيّة وصيانتها وحماية البيئة: تحتاج التنمية المستدامة إلى حماية الموارد الطبيعية اللازمة لإنتاج المواد الغذائية وتوفير مصادر الطاقة ومواد البناء، وحماية الموارد اللازمة للصناعة. ولهذا فإن ترشيد استهلاك الموارد والثروات الطبيعية يعدّ إحدى الآليات الأساسية لتحقيق التنمية المستدامة.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من حمل علينا السلاح فليس منا)، الحديث رقم 7072، ص 1258. وقال النووي: "(لعل الشيطان ينزع) ومعناه: يرمي في يده ويحقق ضربته ورميته.

[2] رواه أبو داود. انظر: سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب: النهي عن المسكر، الحديث رقم 3686، ص 558. 136.

[3] سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، الحديث رقم 223، الجزء الأول، ص 81. وانظر: الترغيب والترهيب، الحافظ المنذري، كتاب العلم، باب: الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين، الحديث رقم 106، الجزء الأول، ص 47.

وقد اهتم الإسلام بهذه القضية، فحثّ الأفراد على الاعتدال في شؤون الحياة كافة، فلا إفراط ولا تفريط، ولا إسراف ولا تقتير. وقد جعل الله عز وجل قضية الترشيد في الإنفاق والاستهلاك من صفات المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[1].

وقد ربط الإسلام بين التنمية المستدامة والمحافظة على البيئة ورعايتها، كما ربط بينهما وبين الإيمان، فجعلت إماطة الأذى من الطريق شعبة من شعب الإيمان، والإحسان إلى أحياء البيئة مدعاة إلى الفوز برضوان الله وجنته، والإساءة إليها توجب دخول المسيء النار.

ثانياً التنمية الاقتصاديّة في الإسلام واستدامتها:

لقد حرص الإسلام حرصًا بالغًا على تنمية الإنسان وتنمية موارده الاقتصادية، ليعيش حياة طيبة كريمة، هانئة مليئة بالإنجاز والعمل. العمل الصالح الذي يؤتي ثماره مرتين: مرة في الحياة الدنيا، ومرة في الحياة الآخرة، وهي الحياة التي ترتفع بالمسلم من حد الكفاف إلى حد الكفاية والرفاهية.

وقد وضع الإسلام للتنمية حسابا خاصا، فجعلها في حكم الواجب، وقد فسر علماء التفسير قول الله عز وجل: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾[2]. ففي هذه الآية يقول الإمام الجصاص:«إن في ذلك دلالة على وجوب عمارة الأرض بالزراعة والغرس والأبنية »[3].

ولم يكن لفظ التنمية الاقتصادية شائعًا في الكتابات الإسلامية الأولى، إلا أن المعنى قد استخدم كثيراً بألفاظ مختلفة منها: العمارة والتمكين والنماء والتثمير، وقد ورد بعض هذه الألفاظ ومترادفاتها في القرآن الكريم وفي بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وظهرت بوضوح في كتابات الأئمة والعلماء وخطبهم في عصور الإسلام المبكرة والوسيطة.

مفهوم التنمية الاقتصاديّة في الإسلام:

يمكن القول إن للتنمية الاقتصادية في الإسلام مفهومًا شاملاً عريضًا، يستوعب كل ما يؤدي إلى الحياة الطيبة للإنسان الذي كرمه الله تعالى، وجعله خليفته في الأرض، وأمره بإصلاحها ونهاه عن السعي فيها بالفساد والخراب والدمار وإهلاك الحرث والنسل.

---

[1] سورة الفرقان، الآية رقم 67. والقوام: العدل. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثاني عشر، ص 499.
[2] سورة هود، الآية رقم 61.
[3] محمد عبد القادر الفقي، مرجع سابق، ص 34.

لقد حاول بعض الكتاب استنباط مفهوم للتنمية في الإسلام، استناداً إلى نصوص أو معان قرآنية، فقيل إن التنمية هي: طلب عمارة الأرض، وذلك من قوله تعالى: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)[1]. وقيل إن التنمية تعني «الحياة الطيبة»، إشارة إلى معنى الآية الكريمة: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[2]. وقيل هي نقل المجتمع من الوضع الذي لا يرضاه الله، إلى الوضع الذي يرضاه.

عوامل وأساليب استدامة التنمية الاقتصاديّة في الإسلام:

كان للفكر الاقتصادي الإسلامي فضل السبق في تنظير الجوانب الإيمانية والأخلاقية في المعاملات الاقتصاديّة كافّة: في الإنتاج والاستهلاك، وفي الكسب والإنفاق، وفي الادخار والاستثمار، ولما أوجب الله سبحانه وتعالى العمارة على خلقه، جعل لهم في مقابل ذلك حوافز عظيمة، وذلك لما في الحوافز والدوافع والقيم التي تحرك الأفراد، من دور أساسي في إنجاح هذه العمليّة.

عوامل استدامة التنمية الاقتصاديّة في الإسلام:

يعتقد أكثر كتاب التنمية في الاقتصاد الإسلامي، أن القيم التي يربي الإسلام أبناءه عليها، ملائمة لتحقيق التنمية الاقتصادية، ولعل أول من أشار إلى هذه النقطة بصورة عملية ومنظمة المفكر «مالك بن نبي» في كتابه: «المسلم في عالم الاقتصاد» الذي ركز فيه على دور الإنسان في المجتمع المسلم كلبنة أولى لعملية التنمية.

هذا فيما يتعلق بالحوافز الذاتية التي تجعل الإنسان يسعى لتحقيق التنمية من خلال المنهج التربوي الإسلامي. أما في مجال الحوافز الأخروية والروحية، فنجد أن هناك آيات كثيرة، وأحاديث ترغب في العمل وتحث عليه، ومن الحوافز الأخروية قول الله تعالى: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)[3] وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً)[4]. ومن ذلك قول رَسُول اللّهّ صَلى اللّهّ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ:«ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة.»

أساليب استدامة التنمية الاقتصاديّة في الإسلام: يعتمد الفكر الاقتصادي الإسلامي على عدّة أساليب وآليّات في التنمية الاقتصاديّة واستدامتها أهمّها:

---

[1] سورة هود، الآية رقم 61.
[2] سورة النحل، الآية رقم 97.
[3] سورة الأحقاف، الآية رقم 19.
[4] سورة الكهف، الآية رقم30.

مكافحة الفقر: نجد أنّ الإسلام ينظر إلى الفقر فيراه خطراً على العقيدة والأخلاق والمجتمع والأسرة، ويعدّه بلاء يستعاذ منه. فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ، فيقول: "اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر"[1]. وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى"[2].

ولما كان الفقر أحد أسباب التدهور البيئي، فالجائع لا يستطيع أن يفلح أرضا، وكانت مكافحة الفقر أحد عناصر برامج تحقيق التنمية المستدامة فقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكافحة الفقر بتوفير أدوات الإنتاج وتحقيق التكافل الاجتماعي والإحسان إلى الفقراء. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعدها، إلا أدخله الله بها الجنة"[3].

كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الصدقة، ودفعها إلى الفقراء والمساكين، وبخاصة إلى المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافاً. فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين المتعفف، اقرأوا إن شئتم: لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ"[4].

ولم يبح الإسلام المسألة إلا لمن هم في أمس الحاجة إلى المال، وتحذَّر من يفعل ذلك من فقدان البركة مما يُعطَى له. فعن معاوية (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تلحفوا في المسألة فوالله لا يسألني أحد منكم شيئا فتخرج له مسألته مني شيئا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته"[5].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب: التعوذ من المأثم والمغرم، الحديث رقم 6386، ص 1139. والمأثم: الأمر الذي يأثم به الإنسان، أو هو الإثم نفسه. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثاني عشر، ص 6. والمغرم: الغرامة، وهي ما يلزم الشخص أداؤه كالدين. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الحادي عشر، ص 181.

[2] صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، الحديث رقم 72 (2721)، الجزء التاسع، ص 35. وقال النووي: "العفاف والعفة: التنزه عما يباح، والكف عنه. والغنى هنا: غنى النفس، والاستغناء عن الناس، وعما في أيديهم". انظر: المرجع السابق، الجزء التاسع، ص 38.

[3] صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب: فضل المنيحة، الحديث رقم 2631، ص 453. والمنيحة: منحة اللبن كالناقة أو الشاة، تعطيها غيرك يحتلبها، ثم يردّها إليك. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثاني عشر، ص 607.

[4] سورة البقرة، الآية رقم 273. والإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة. انظر: لسان العرب، الجزء التاسع، ص 314.

[5] صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة، الحديث رقم 99 (1038)، الجزء الرابع، ص 130.

العمل على تحويل الأيدي العاطلة إلى أيدٍ عاملة: ثمة أحاديث كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عالجت مشكلة التكسب بسؤال الناس، عن طريق تحويل من يمارسون المسألة من عاطلين إلى عاملين. وهي أحاديث تقدّم لنا نموذجا عمليا يمكننا الاقتداء به لتغيير سلوكيات هذه الفئة التي تستمر في التسوّل والسؤال، وجعْلها توظِّف طاقاتها وقدراتها لخدمة المجتمع وخدمة أهلها. ومن ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير من أن يسأل أحدا، فيعطيه أو يمنعه"[1].

وتنظر المجتمعات الغربية ومن سار سيرها إلى العمل باعتباره قيمة اقتصاديّة في الزمن الحالي، حتى أننا نرى أن مقياس تقدم الفرد في الدول الكبرى حاليا هو: ماذا يعمل؟، وكم يكسب؟ ونرى في المقابل أن من لا يعمل يفقد احترامه كبشر، فإن لم يكن له مال تحول إلى إنسان بلا مأوى أو لص أو قاطع طريق. أمّا في الإسلام، فإنه اهتم برعاية الفقراء وذوي الحاجة والضعف، وطلب منا أن نعلمهم عملا يتكسبون به، أو نساعدهم في أدائه إذا كانت ملكاتهم الذهنيّة أو البدنيّة لا تمكنهم من ذلك، انطلاقا من مبدأ الأخوة الإسلاميّة.

الحث على العمل والصناعة: حث الإسلام على العمل اليدوي للاستغناء به عن سؤال الناس، فعن المقدام رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)[2]. ومن المعروف أن نبي الله داود كان يصنع الحديد كما أخبرنا القرآن الكريم عنه في قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[3].

وإذا لم يتمكن الإنسان من الحصول على عمل، فإن على أولي أمر المسلمين أن يهيئوا له عملا مناسبا. فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رجلا من الأنصار أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال: (أما في بيتك شيء؟). قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء. قال: (ائتني بهما). فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: (من يشتري هذين؟). قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يزيد على درهم؟) مرتين أو ثلاثا. قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: (اشترِ بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك،

[1] صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، الحديث رقم 2074، ص 354.
[2] صحيح البخاري، مرجع سابق، الحديث رقم 2072، ص 354.
[3] سورة سبأ، الآيتين رقم 10- 11.

واشتر بالآخر قدوماً فائتني به). فأتاه به، فشدّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده، ثم قال: (اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً)، ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبا، وببعضها طعاما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع)[1].

ويستفاد من هذا الحديث أن على صاحب الحاجة والمتعطل عن العمل مع قدرته عليه رفع شكواه إلى أولي الأمر لكي يدبروا له أمره، وعلى أولي الأمر العمل على توفير العمل المناسب للشاكي تبعا لظروف المجتمع واحتياجات المتعطلين فيه[2]. ولا يفهم مما سبق أن الإسلام ضد التكافل الاجتماعي وضد إعانة الفقراء والمساكين. فالإسلام هو الدين الوحيد الذي جعل أداء الزكاة ركنا من أركان العبادة، وجعل إطعام المسكين من لوازم الإيمان، فقال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ، فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ الْمُجْرِمِينَ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ)[3].

ثالثاً مُرتكزات وخصائص التنمية الاقتصاديّة المستدامة في الإسلام

تحتل التنمية الاقتصاديّة المستدامة في نظام الإسلام الشامل موضعاً عظيماً، ذلك لأنها تؤدي إلى بلوغ الحياة الكريمة التي أمر الله الناس أن يبتغوها في الدنيا ووعد عباده المؤمنين بأفضل منها في الآخرة. ومن هذه النظرة الشموليّة، المتعددة الجوانب والأبعاد للإسلام اتجاه قضية التنمية، نجد أن الإسلام قد ركز على ثلاثة مبادئ مهمة، من المبادئ الحركية للحياة الاجتماعيّة، وهي:

١– الاستخدام الأمثل للموارد والبيئة والطبيعة التي وهبها الله تعالى للإنسان وسخرها له.

٢– الالتزام بأولويات تنمية الإنتاج، والتي تقوم على توفير الاحتياجات الضرورية الدينية، والمعيشية، لجميع أفراد المجتمع دون إسراف أو تقتير، قبل توجيه الموارد لإنتاج غيرها من السلع.

٣– تنمية ثروة المجتمع وسيلة لتحقيق طاعة الله، ورفاهية المجتمع وعدالة التوزيع بين أفراد المجتمع. ومن هنا يتبين الربط المباشر لعملية التنمية بالعبادة، والمستمد من قوله تعالى :(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)[4] إذا

---

[1] رواه أبو داود. انظر: سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب: ما تجوز فيه المسألة، الحديث رقم 1641، ص 254.
[2] إسماعيل إبراهيم البدوي، عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي: دراسة مقارنة، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، الكويت، ص ص 181-182.
[3] سورة المدثر، الآيات رقم 38- 44.
[4] سورة هود، الآية رقم 61.

ما ربط ذلك بالهدف النهائي لهذه النشأة والاستعمار، والمتجسد في قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[1].

ويخلص من ذلك القول أن مفهوم التنمية الاقتصاديّة في الإسلام، مفهوم شامل لنواحي التعمير في الحياة كافة، تبدأ بتنمية الإنسان ذاتيًا، وذلك بتربيته دينيًا وبدنيًا وروحيًا وخلقيًا، ليقوم بالدور المنوط به إسلاميًا، ومن خلال ذلك تنشأ عملية تعمير الأرض، الموضع الذي يعيش فيه الإنسان اقتصاديًا، واجتماعيًا، وسياسيًا... إلخ، لتتحقق له الحياة الطيبة التي ينشدها، ويستطيع في ضوئها أن يحقق الغاية العظمى، وهي إفراد العبادة لله وتحسينها.

كما أن التنمية الإسلامية، هي تنمية شاملة ومستدامة، لأنها تتضمن جميع الاحتياجات البشرية من مأكل وملبس، ومسكن، ونقل، وتعليم، وتطبيب، وترفيه، وحق العمل، وحرية التعبير، وممارسة الشعائر الدينية .. الخ، بحيث لا تقتصر على إشباع بعض الضروريات، أو الحاجات دون الأخرى.

ولذلك فقد ارتبط مفهوم التنمية في الإسلام بالقيم والأخلاق الفاضلة، وأصبح تحقيق التنمية مطلبًا جماعيًا وفرديًا وحكوميًا، يسهم فيه كل فرد من أفراد المجتمع. وتختصر أهداف التنمية الاقتصادية في الإسلام فيما يلي:

- هدف اقتصادي مرحلي يتمثل في استخدام الموارد الطبيعية لتحقيق الرخاء الاقتصادي للفرد والجماعة.
- هدف إنساني، وهو الهدف النهائي ويتمثل في استخدام ثمار التقدم الاقتصادي، لنشر المبادئ والقيم الإنسانية الرفيعة متمثلة في السلام والعدل والمعرفة الكاملة بالله عز وجل.

مرتكزات عمليّة التنمية الاقتصاديّة في الإسلام:

تعتمد التنمية الاقتصادية المستدامة في الإسلام لتحقيق أهدافها على مرتكزين أساسيين، هما[2]:

العقيدة الإسلاميّة: والتي ينبع منها إقامة أكبر قدر من العمران، والتقدم الاقتصادي والاجتماعي على ظهر الأرض. ذلك لأن العقيدة الإسلاميّة ترسم للإنسان دوره في الحياة ومسؤوليّته اتجاهها، ثم تأمره أمراً صريحًا بأن ينهض بكل ما يحقق له الرخاء الاقتصادي والاجتماعي.

الإرادة المجتمعيّة «الجماعيّة»وإنماء الشخصية الجماعية للمجتمع المسلم: والتي تستند إلى القيم الاجتماعيّة الإسلاميّة.

[1] سورة الذاريات، الآية رقم 56.

[2] http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/Tanmoust/P5.htm

والإسلام، بهذين المرتكزين، يقف موقفًا مغايراً تمامًا للمرتكزات الوضعيّة في التنمية، والتي تستمد من فهم الفكر الإنمائي الوضعي بطبيعة المشكلة الاقتصاديّة، وبالتالي جوهر عمليّة التنمية وأبعادها.

فالنظم الوضعيّة ترى أن الأصل هو ندرة الموارد، وعدم كفايتها لإشباع حاجة الإنسان، بينما نجد الأصل في الإسلام هو وفرة الموارد الطبيعيّة وكفايتها لتلبية حاجات البشر جميعًا لقوله تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[1].

والنظم الوضعية تركز تركيزًا شديداً على الجانب الاقتصادي لعملية التنمية فترجع التخلف لاعتبارات مادية بحتة، كندرة رأس المال، أو نقص المهارات التنظيمية، أو تخلف الفن الإنتاجي أو النمو السكاني السريع، كما تجد علاج هذا التخلف في التقدم المادي، كزيادة تراكم رأس المال، وتطوير التكنولوجيا وتنويع الهيكل الإنتاجي.

وفي الآونة الأخيرة أصبح الدمار والخراب والإبادة الجماعية للشعوب المستضعفة جزءًا من استراتيجيات التنمية الوضعية، إذ يؤدي هذا الخراب في اعتقادهم إلى إعادة التوازن في التركيبة السكانية لصالح هذه الدول، ثم يبدأ مسلسل النهب العالمي لثروات المستضعفين من خلال ما يسمى إعادة الإعمار.

خصائص التنمية الاقتصاديّة في الإسلام: تتميز التنمية الاقتصاديّة الإسلاميّة بعدة خصائص يمكن حصرها فيما يلي[2]:

التنمية في الإسلام شاملة:

المقصود بالتنمية الشاملة أنها تنمية لاتغفل الجوانب الروحية وتعتمد الجوانب المادية فقط. وإنما تنمية اقتصادية تشمل النواحي المادية والروحية. فالإسلام اهتم بتحقيق كافة حاجات المجتمع المسلم، من مأكل وملبس ومسكن ونقل وتعليم وعبادة وشعائر دينية ودعوة وغيرها.

فالعقيدة الإسلامية هي هدف أول للتنمية، وهي أيضا الجانب الروحي الذي يمثل أهم خاصية تتميز بها التنمية الاقتصادية في الإسلام. فالإيمان بالله وعبادته وحفظ دينه. كلها تعتبر أحد الحاجات الروحية التي يجب إشباعها جنبا إلى جنب مع الحاجات المادية كالأكل واللبس والسكن وغيره.

[1] سورة إبراهيم، الآيتين رقم 33- 34.
[2] عبد الحميد الغزالي، الإنسان أساس التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، منشورات مركز الاقتصاد الإسلامي – المصرف الإسلامي الدولي – القاهرة -1988م.

التنمية في الإسلام متوازنة:

إن المقصود بالتوازن في التنمية الاقتصادية في الإسلام: أن تتوازن جهود التنمية على مستوى المناطق وعلى مستوى القطاعات. ففي المناطق يجب أن لاتستأثر منطقة بالتنمية على حساب مناطق أخرى. بل تشمل التنمية كل مناطق الدولة.. ولاياتها ومدنها وقراها وأريافها، كلها تحظى بالتنمية على سواء فهي تنمية لاتميز بين المدن والقرى. ولا تميز بين السكان بسبب الجنس أو اللون أو الدين أو الجهة. وفى القطاعات يجب أن لا تغفل التنمية أي قطاع من قطاعات الاقتصاد. كأن تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة، أو التجارة دون البنيات الأساسية.. أو تسبق الصناعة الثقيلة أو المستوردة الصناعات التحويليّة المحلية، أو أن يركز على المباني الفخمة والمنشآت المتطورة دون توفير المرافق العامّة والتجهيزات الأساسيّة. ويتم ضبط هذا التوازن في التنمية عبر نظام دقيق للتخطيط الاقتصادي إنتاجا وتوزيعا.

خاتمة:

إنّ جوهر التنمية في النظام الإسلامي، هو تنمية الإنسان نفسه، وليس مجرد تنمية الموارد الاقتصادية المتاحة لإشباع حاجاته، فهي تنمية أخلاقية تهدف إلى تكوين الإنسان السوي الذي يشكل نواة مجتمع المتقين، والذي ينظر إلى التقدم المادي من منطلق الخلافة في الأرض، التي سيحاسب عليها أمام المولى عز وجل.

ولذلك فإن عمارة الأرض أي التنمية بالمصطلح الحديث ليست عملاً دنيويًا محضًا، بل هي عمل تعبدي فيه طاعة لله عز وجل. ولا يتعارض الجانب التقليدي في التنمية، وعمارة الأرض مع تحقيق الرفاهية المادية للمجتمع الإسلامي. وعلى ذلك لا تنصرف جهود التنمية في الإسلام إلى مجرد تحسين مستوى دخل أفراد المجتمع أو توفير حد الكفاف أو إشباع حاجاتهم الأساسية فقط، كما تهدف النظم الإنمائية المعاصرة وإنما تنشد أساسًا تحقيق الكفاية المعيشية لكل فرد من أفراد المجتمع، على النحو الذي يخرجهم من دائرة الفقر إلى حد الغنى.

وخلاصة القول، فإن التنمية الاقتصادية المستدامة في الإسلام، تنمية شاملة متوازنة تجمع بين تنمية الإنسان، وإعداده إعدادًا صحيحًا ليضطلع بمسؤولياته أمام الله عز وجل وبين تنمية البيئة المحيطة به اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا وثقافيًا، لتمكنه من القيام بهذه المسؤوليات على الشكل المطلوب خير قيام.